

العَجَبُ

عناصر الموضوع

١٣٨	مفهوم العجب
١٣٩	العجب في الاستعمال القرآني
١٤٠	الأنفاظ ذات الصلة
١٤١	التعجب وصوره
١٥٠	أنواع الإعجاب

مفهوم العجب

أولاً: المعنى اللغوي:

أصل مادة (ع ج ب) تدل على معنيين رئيسين:

الأول: الكبر واستكبار للشيء.

الثاني: خِلْقَة من خِلَقِ الحيوان.

ويقال للمتكبر: معجب بنفسه، ويقال للأمر المستعظم: أمرٌ عجيب^(١).

قال الراغب الأصفهاني: «العجب والتعجب: حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب

الشيء، ولهذا قال بعض الحكماء: العجب ما لا يعرف سببه»^(٢).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

قال الجرجاني رحمه الله: «العجب: تغير النفس بما خفي سببه وخرج عن العادة مثله»^(٣).

وقال الكفوي رحمه الله: «العجب، بفتح الحين: روعة تعتري الإنسان عند استعظام

الشيء»^(٤).

يقول الباحث: بعد الاطلاع على أقوال العلماء في معنى العجب نستطيع أن نقول بأن

العجب هو: حالة تصيب الإنسان من الاستعظام والذهول عند رؤيته لشيء خرج عن العادة

والمألوف.

فالعجب في معنيته: اللغوي والاصطلاحي يدول على استعظام الشيء عند رؤيته.

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٤/ ٢٣٤.

وانظر: لسان العرب، ابن منظور ١/ ٥٨٠، مختار الصحاح، الرازي ص ٢٠٠.

(٢) المفردات ص ٥٤٧.

(٣) التعريفات ص ١٤٧.

(٤) الكليات ص ٦٥٥.

العجب في الاستعمال القرآني

وردت مادة (عجب) في القرآن بصيغ متعددة، بلغت (٢٧) مرة^(١).
والصيغ التي وردت عليها هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	١١	﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢]
الفعل المضارع	٨	﴿وَلَنْ تَعَجَبَ فَعَجِبْتُ قَوْلَهُمْ أَذَا كُنَّا تَرْبًا لَّوْنَا لَنِي خَلَقِي جَدِيدٍ﴾ [الرعد: ٥]
صيغة المبالغة	١	﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]
المصدر	٥	﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ [يونس: ٢]
الصفة المشبهة	٢	﴿قَالَتْ يَوَاقِلَىٰ ءَالِدُ وَاَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢]

وجاء العجب في الاستعمال القرآني على وجهين^(٢):

الأول: الاستعظام: ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢] أي: عجبت من إنكارهم البعث لشدة تحققك بمعرفته^(٣).

الثاني: الكريم الشريف: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قَوْلَ آتِنَا عُجَبًا﴾ [الجن: ١].
أي: كريمًا شريفًا.

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ص ٤٤٦.

(٢) انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني ص ٣٣٨.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي ٢٠/٤.

الألفاظ ذات الصلة

١ الذهول:

الذهول لغة:

أصل مادة (ذهل) تدل على شغل عن شيء بذعر أو غيره، ذهلت عن الشيء أذهل، إذا نسيته أو شغلت به، وأذهلني عنه كذا^(١).

الذهول اصطلاحاً:

قال الراغب الأصفهاني: «الذهول: شغل يورث حزناً ونسياناً»^(٢).
وقال الكفوي: «الذهول هو عدم استنبات الإدراك حيرة ودهشة»^(٣).

الصلة بين الذهول والعجب:

هناك صلة وثيقة بين الذهول والعجب، إذ أن الذهول هو حالة ناتجة عن العجب.

٢ العجب:

العُجَب لغة:

العجب بالضم: الزهو والكبر، والمعجب: الإنسان المعجب بنفسه أو بالشيء^(٤).

العُجَب اصطلاحاً:

قال الجرجاني: «العجب: هو عبارة عن تصور استحقاق الشخص رتبة لا يكون مستحقاً لها»^(٥).

وقيل: «العجب: مسرة بحصول أمر، يصحبها تطاول به على من لم يحصل له مثله، بقول أو ما في حكمه، من فعل، أو ترك، أو اعتقاد»^(٦).

الصلة بين العَجَب والعُجَب:

العُجَب: تصور استحقاق الشخص رتبة لا يكون مستحقاً لها، أما العَجَب: فهو تغير النفس بما خفي سببه وخرج عن العادة مثله.

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس ٣٦٣/٢.

(٢) المفردات ص ٣٣٢.

(٣) الكليات ص ٥٠٦.

(٤) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢٤٣/٤، لسان العرب، ابن منظور، ٥٨٢/١، تاج العروس، الزبيدي، ٣١٨/٣.

(٥) التعريفات، ص ١٤٧.

(٦) البحر الزخار، ٤٩٠/٦.

التعجب وصوره

التعجب له صور كثيرة ومتعددة، منها ما يكون في العقائد، ومنها ما يكون في الأمور الخارقة للعادة، ومنها ما يكون في الأخلاق والأعمال.

أولاً: صور التعجب في مسائل العقيدة:

١. التعجب من وحدانية الله تعالى.

قال تعالى: ﴿أَجْعَلِ لِلَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]

ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية وما سبقها من آيات روايات منها: أن جماعة من قريش اجتمعوا في نفر من مشيخة قريش، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبي طالب، لنكلمه في شأن ابن أخيه، فلما دخلوا على أبي طالب قالوا له: أنت كبيرنا وسيدنا، فأنصفنا من ابن أخيك، فمره فليكيف عن شتم آلهتنا، وندعه وإلهه، فقال أبو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم: يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قريش، وقد سألوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك، فقال صلى الله عليه وسلم: (يا عم، أفلا أدعوهم إلى ما هو خير لهم؟) قال: وإلام تدعوهم؟ قال: (أدعوهم أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب، ويملكون بها العجم)، فقال أبو جهل من بين القوم: ما هي وأبيك؟ لنعطينها لك وعشرة أمثالها، فقال صلى الله عليه وسلم: (تقولون: لا إله إلا الله)، فنفر أبو جهل وقال: سلنا غير هذا، فقال صلى الله عليه وسلم: (لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي، ما سألتكم غيرها)، فقاموا غضاباً، وقالوا: والله لنشتمنك وإلهك الذي أرسلك بهذا^(١).

قال طنطاوي: «والاستفهام للإنكار، أي: أجعل محمد صلى الله عليه وسلم الآلهة المتعددة، إلهاً واحداً، وطلب منا أن ندين له بالعبادة والطاعة؟ ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ أي: إن هذا الذي طلبه منا، ودعانا إليه، لشيء قد بلغ النهاية في العجب والغرابة ومجازة ما يقبله العقل، وعجائب أبلغ من عجيب، فلفظ عجائب صيغة مبالغة سماعية.

وقد حكاها سبحانه عنهم للإشعار بأنهم كانوا يرون - لجهلمهم وعنادهم - أن ما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم هو شيء قد تجاوز الحد في العجب والغرابة، واسم الإشارة يعود إلى جعله صلى الله عليه وسلم الآلهة إلهاً واحداً، لأنهم يرون - لانطماس بصائرهم -

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٦/٧.

أن ذلك مخالف مخالف تامة لما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم من عبادة للأصنام، وما كان مخالفا لما ورثوه عن آبائهم فهو - في زعمهم - متجاوز الحد في العجب»^(١).

٢. التعجب من عبادة غير الله.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٦].

الاستفهام في قوله: ﴿أَتَعْبُدُونَ﴾ لإنكار واقعهم والتعجب مما وقع منهم، وتوبيخهم على جهلهم وغفلتهم، والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء الضالين من النصارى وأشباههم في الكفر والشرك قل لهم: أتعبدون معبودات غير الله تعالى هذه المعبودات وأشباههم في الكفر والشرك، لا تملك لكم ضراً، كالمرض والفقر، ولا تملك أيضاً أن تنفعكم بشيء من النفع كبسط الرزق وغير ذلك مما أنتم في حاجة إليه^(٢).

وقال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٥-٩٦].

بعدما وقع من إبراهيم عليه السلام تحطيم الأصنام التي كان يعبدتها قومه، جاؤوه مسرعين إليه وهم في قمة الغضب، فلما رآهم إبراهيم عليه السلام لم يأبه بهم،

(١) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي ١٢/ ١٣٣.

(٢) انظر: الدر المصون، للسمين الحلبي، ٣٧٩/٤، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٢٤٠.

بل رد عليهم ردًا منطقيًا سليمًا ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾^(٣) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: قال لهم موبخاً ومؤنباً ومتعجباً: أتعبدون أصناماً أنتم تنحتونها وتقطعونها من الحجارة أو من الخشب بأيديكم، وتركون عبادة الله تعالى الذي خلقكم وخلق الذي تعملونه من الأصنام وغيرها^(٤).

٣. التعجب من بشرية الرسل.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ مِثْلُنَا فَكَفَرُوا وَقَوْلُوا وَآسْتَفَىٰ اللَّهُ وَاللَّهُ غَفِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن: ٦].

يبين سبحانه الأسباب التي أدت إلى سوء عاقبة الكافرين، وما أصابهم من هلاك ودمار، أنهم كانت تأتيهم رسلهم بالآيات البينات، وبالمعجزات الواضحات، الدالة على صدقهم، فما كان من هؤلاء الأقوام إلا أن أعرضوا عن دعوة الرسل، وقال كل قوم منهم لرسولهم على سبيل الإنكار والتكذيب والتعجب: أبشر مثلنا يهدوننا إلى الحق والرشد؟!، فما كان منهم إلا الكفر بسبب هذا القول الفاسد^(٥).

٤. التعجب من نزول الوحي على البشر.

قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ

(٣) انظر: روح البيان، الألوسي ٧/ ٤٧١.

(٤) انظر: تفسير السمرقندي ٣/ ٤٥٥.

يرسله إلى الناس إلا يتيم أبى طالب، وأن يذكر لهم البعث، وينذر بالنار ويبشر بالجنة، وكل واحد من هذه الأمور ليس بعجب، لأن الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلا بشرًا مثلهم.

وقال تعالى: ﴿قَدْ لَوَّكَاتٍ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥].

وإرسال الفقير أو اليتيم ليس بعجب أيضًا؛ لأن الله تعالى إنما يختار من استحق الاختيار لجمعه أسباب الاستقلال لما اختير له من النبوة، والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الأسباب في شيء.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالْأَلَى تَقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾ [سبأ: ٣٧].

والبعث للجزاء على الخير والشر، هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبًا إنما العجب والمنكر في العقول، تعطيل الجزاء^(٢).

وقال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ [النجم: ٥٩].

والاستفهام في هذه الآية للإنكار والتوبيخ، أي: أفمن هذا القرآن وما اشتمل عليه من هدايات وتشريعات تتعجبون،

لَهُمْ قَدْ صَدَّقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ مِثْلُ﴾ [يونس: ٢].

معنى الآية الكريمة: أبلغ الجهل وسوء التفكير بمشركي مكة ومن على شاكلتهم، أن كان إبحاؤنا إلى رجل منهم يعرفهم ويعرفونه لكي يبلغهم الدين الحق، أمرًا عجبًا، يدعوهم إلى الدهشة والاستهزاء بالموحي إليه صلى الله عليه وسلم حتى لكان النبوة في زعمهم تتنافى مع البشرية، إن الذي يدعو إلى العجب حقًا هو ما تعجبوا منه؛ لأن الله تعالى اقتضت حكمته أن يجعل رسله إلى الناس من البشر؛ لأن كل جنس يأنس لجنسه، وينفر من غيره، وهو سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته^(١).

قال الزمخشري رحمه الله: «فإن قلت: فما معنى اللام في قوله: ﴿أَكَاَنَّ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ وما الفرق بينه وبين قولك: كان عند الناس عجبًا؟

قلت: معناه أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها. ونصبوه علمًا لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وإنكارهم، وليس في «عند الناس» هذا المعنى، والذي تعجبوا منه أن يوحى إلى بشر، وأن يكون رجلًا من أفتاء رجالهم دون عظيم من عظمائهم، فقد كانوا يقولون: العجب أن الله لم يجد رسولًا

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ١٥/١٢، لباب التأويل، الخازن ٢/٤٢٧.

(٢) الكشف ٢/٣٢٧.

وتتكرون كونه من عند الله تعالى^(١).

٥. التعجب من كون الرسول من القوم أنفسهم.

قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤].

قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا﴾ مأخوذ من العجب، وهو تغير في النفس من أمر لا ترتاح إليه، وتخفى لديها أسبابه، والمعنى: وعجب هؤلاء الكافرون من مجيء منذر منهم ينذرهم بسوء عاقبة الشرك، ويأمرهم بعبادة الله تعالى وحده، وقال هؤلاء الكافرون عندما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الدين الحق ﴿هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ أي: قالوا: هذا الرسول ساحر؛ لأنه يأتينا بخوارق لم نألّفها، وكذاب فيما يسنده إلى الله عز وجل من أنه سبحانه أرسله إلينا^(٢).

٦. التعجب من البعث بعد الموت. قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَعَجَبَ فَعَجَّبَ قَوْمُهُمْ﴾ [الرعد: ٥]. قال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَعَجَبَ فَعَجَّبَ قَوْمُهُمْ﴾ أي: إن تعجب يا محمد من تكذيبهم لك بعد ما كنت عندهم الصادق الأمين، فأعجب منه تكذيبهم بالبعث - لأن من شاهد ما عدد سبحانه من الآيات الدالة

(١) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري ٢٠٣/٥.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي ٢١٩٤/٣.

على قدرته، أيقن بأن من قدر على إنشائها، كانت الإعادة أهون شيء عليه وأيسره والله تعالى لا يتعجب، ولا يجوز عليه التعجب، لأنه - أي التعجب - تغير النفس بما تخفى أسبابه، وذلك في حقه تعالى محال، وإنما ذكر ذلك ليتعجب منه نبيه والمؤمنون^(٣).

وعليه فإن معنى الآية يكون وإن تعجب من شيء - أيها الرسول الكريم - فاعجب من قول أولئك المشركين: ﴿أَوَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ نَبًا﴾ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أي: إذا صرنا ترابا وعظاما نخرة بعد موتنا إنا بعد ذلك لنعاد إلى الحياة مرة أخرى من جديد، والاستفهام للإنكار، لاستبعادهم الشديد إعادتهم إلى الحياة مرة أخرى لمحاسبتهم على أعمالهم^(٤).

٧. التعجب من أحداث الساعة.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ [الزلزلة: ٣].

والمراد بالإنسان في قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ جنسه فيشمل المؤمن والكافر، والاستفهام: المقصود به التعجب مما حدث من أهوال، والمعنى: وقال كل إنسان على سبيل الدهشة والحيرة والتعجب، أي شيء حدث للأرض، حتى جعلها تضطرب هذا الاضطراب الشديد^(٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٨٤/٩.

(٤) انظر: الصحيح المسبور، حكمت ياسين، ١٠٥/٣.

(٥) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم

عندما تصل المرأة سن اليأس ولم يكن لها ولد، ثم تأتيها مثل هذه البشارة يهتز كيانه، ويزداد عجبها، ولذا قالت على سبيل الدهشة والاستغراب: ﴿قَالَتْ يَوَئَلَيْهِ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

والمراد بها هنا: التعجب لا الدعاء على نفسها بالويل والهلاك، وهي كلمة كثيرة الدوران على أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يدهشن له، ويتعجبن منه، أي: قالت بدهشة وعجب عند ما سمعت بشارة الملائكة لها بالولد وبولد الولد: يا للعجب ألد وأنا امرأة عجوز، قد بلغت سن اليأس من الحمل منذ زمن طويل، ﴿وَهَذَا بَعْلِي﴾ أي: زوجي إبراهيم شيخاً كبيراً متقدماً في السن، وقد رد عليها الملائكة بقولهم: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: أتستعبدن على قدرة الله تعالى أن يرزقك الولد وأنت وزوجك في هذه السن المتقدمة؟ لا أنه لا ينبغي لك أن تستبعدي ذلك، لأن قدرة الله لا يعجزها شيء، فلا استفهام هنا المراد به إنكار تعجبها واستبعادها البشارة، وإزالة أثر ذلك من نفسها إزالة تامة^(٢).

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ

٨. التعجب من القرآن المعجز.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١].

أي: قل يا محمد صلى الله عليه وسلم للناس، إن الله تعالى قد أخبرك عن طريق أمين وحيه جبريل: إن جماعة من الجن قد استمعوا إليك وأنت تقرأ القرآن، فقالوا- على سبيل الفرح والإعجاب بما سمعوا-: إنا سمعنا من الرسول صلى الله عليه وسلم قرآنًا عجبًا، أي: إنا سمعنا قرآنًا جليل الشأن، بديع الأسلوب، عظيم القدر، ووصفهم للقرآن بكونه قرآنًا عجبًا يهدي إلى الرشd يدل على تأثرهم به تأثرًا شديدًا، وعلى إعجابهم العظيم بنظمه الممتن، وأسلوبه الحكيم، ومعانيه البديعة، ولذا أعلنوا إيمانهم به بدون تردد^(١).

ثانيًا: صور التعجب في الأمور الخارقة للعادة:

١. الإنجاب عن عقم وكبر.

قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَوَئَلَيْهِ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (٧٢) ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٢-٧٣].

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٢/ ١١٨، محاسن التأويل، القاسمي ٦/ ١١٥.

(١) الخطيب، ١٦/ ١٦٥٠. انظر: التفسير المنير، الزحيلي ٢٩/ ١٦٠.

الْكَبِيرِ عِتْيًا ﴿[مريم: ٨].

قال زكريا عليه السلام مخاطباً ربه بعد أن بشره بابنه يحيى: يا رب كيف يكون لي غلام، وحال امرأتي أنها كانت عاقراً في شبابها وفي شيخوختها، وحالي أنا أنني قد بلغت من الكبر عتياً، أي: قد تقدمت في السن تقدماً كبيراً^(١).

قال طنطاوي: «فإن قيل: ما المراد باستفهام زكريا عليه السلام مع علمه بقدرة الله تعالى على كل شيء؟ فالجواب أن استفهامه إنما هو على سبيل الاستعلام والاستخبار؛ لأنه لم يكن يعلم أن الله تعالى سيرزقه يحيى عن طريق زوجته العاقرة، أو عن طريق الزواج بامرأة أخرى، فاستفهم عن الحقيقة ليعرفها، ويصح أن يكون المقصود بالاستفهام التعجب والسرور بهذا الأمر العجيب حيث رزقه الله الولد مع تقدم سنه وسن زوجته، ويجوز أن يكون المقصود بالاستفهام الاستبعاد لما جرت به العادة من أن يأتي الغلام مع تقدم سنه وسن زوجته. وليس المقصود به استحالة ذلك على قدرة الله تعالى؛ لأنه سبحانه لا يعجزه شيء»^(٢).

٢. الإنجاب من غير زوج.

قال تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بِغَيًّا﴾ [مريم: ٢٠].

هذا رد مريم عليها السلام على جبريل عليه السلام عندما جاء ليخبرها بأنه سيهب لها بإذن الله عز وجل غلاماً زكياً، فتقول مريم عليها السلام في تعجب شديد ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي﴾ قالت على سبيل التعجب مما سمعته: كيف يكون لي غلام، والحال أنني لم يمسنني بشر من الرجال عن طريق الزواج الذي أحله الله تعالى، ولم أك في يوم من الأيام بغياً؟! أي: فاجرة تبغي الرجال، أو ييغونها للزنا بها^(٣).

وقال الجمل في حاشيته: «وإنما تعجبت مما بشرها به جبريل؛ لأنها عرفت بالعادة أن الولادة لا تكون إلا بعد الاتصال برجل، فليس في قولها هذا دلالة على أنها لم تعلم أنه تعالى قادر على خلق الولد ابتداءً، كيف وقد عرفت أن أبا البشر قد خلقه الله تعالى من غير أب أو أم»^(٤).

٣. قصة أصحاب الكهف.

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩].

قال الإمام الرازي: «اعلم أن القوم تعجبوا من قصة أصحاب الكهف، وسألوا عنها الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل الامتحان، فقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ

(٣) انظر: نظم الدرر، البقاعي، ١٢/ ١٨١.

(٤) حاشية الجمل على الجالين، ٣/ ٥٦.

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ٣/ ٣٨٠.

(٢) التفسير الوسيط، ٩/ ١٨.

على الحوت دون الغداء الذي طلبه منه موسى، للإشعار بأن الغداء الذي طلبه موسى منه، هو ذلك الحوت الذي فقدها، وما أنساني تذكيرك بما حدث من الحوت إلا الشيطان الذي يوسوس للإنسان، بوساوس متعددة، تجعله يذهل وينسى بعض الأمور الهامة، وقوله: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ أي: نسيت أن أخبرك بأن الحوت عند ما أوتينا إلى الصخرة عادت إليه الحياة، واتخذ طريقه في البحر اتخاذًا عجيبًا، حيث صار يسير فيه وله أثر ظاهر في الماء، والماء من حوله كالقنطرة التي تنفذ منها الأشياء^(٢).

قال الرازي: قوله: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ فيه وجوه:

الأول: أن قوله ﴿عَجَبًا﴾ صفة لمصدر محذوف، كأنه قيل: واتخذ سبيله في البحر اتخاذًا عجبا، ووجه كونه عجبا، انقلابه من المكمل وصيرورته حيًا وإلقاء نفسه في البحر.

الثاني: أن يكون المراد منه ما ذكرنا من أنه تعالى جعل الماء عليه كالطاق وكالسراب.

الثالث: قيل: إنه تم الكلام عند قوله واتخذ سبيله في البحر ثم قال بعده: عجبا والمقصود منه تعجب يوشع من تلك الحالة العجيبة التي رآها، ثم من نسيانه لها^(٣).

(٢) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي ٣/ ٣٢١.

(٣) مفاتيح الغيب ٢١/ ٤٨٠.

أَنَّ أَصْحَبَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيصَ كَانُوا مِنْ عَائِدَتِنَا عَجَبًا ﴿ لا تحسبن ذلك فَإِن آيَاتِنَا كُلُّهَا عَجَبٌ؛ فَإِن من كان قادراً على خلق السموات والأرض، وعلى تزيين الأرض بما عليها من نبات وحيوان ومعادن، ثم يجعلها بعد ذلك صعيداً جرزاً خالية من الكل، كيف يستبعد من قدرته وحفظه ورحمته حفظ طائفة من الناس مدة ثلاثمائة سنة وأكثر في النوم ١٩﴾^(١).

يقول الباحث: وعلى ذلك يكون المقصود بهذه الآيات الكريمة، بيان أن قصة أصحاب الكهف ليست شيئاً عجيباً بالنسبة لقدرة الله عز وجل.

٤. حوت موسى ويوشع عليهما السلام.

قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣].

قال يوشع لموسى عليهما السلام تذكر وانتبه واستمع إلى ما سألتني عليك من خبر هذا الحوت، أرايت ما دهاني في وقت أن أوتينا ولجأنا إلى الصخرة التي عند مجمع البحرين، فإني هناك نسيت أن أذكر لك ما شاهدته منه من أمور عجيبة، فقد عادت إليه الحياة، ثم قفرت في البحر، وأوقع النسيان

(١) مفاتيح الغيب، ٢١/ ٤٢٨.

ثالثاً: صور التعجب في الأخلاق والأعمال:

١. التعجب من ارتكاب الفواحش.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ طَإِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ٥١﴾
 أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ﴾ [النمل: ٥٤-٥٥].

قال لوط عليه السلام لقومه متعجباً من فعلهم أتأتون الفاحشة التي لم يسبقكم إليها أحد، وهي إتيان الذكور دون الإناث، وأنتم تبصرون بأعينكم أنها تتنافى مع الفطرة السوية حتى بالنسبة للحيوان الأعجم فأنتم ترون وتشاهدون أن الذكر من الحيوان لا يأتي الذكر، وإنما يأتي الأنثى، حيث يتأتى عن طريقها التوالد والتناسل وعمارة الكون، وقوله سبحانه: ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ جملة حالية المقصود بها زيادة تبكيهم وتوبيخهم؛ لأنهم يشاهدون تنزه الحيوان عنها، كما يعلمون سوء عاقبتها، وسوء عاقبة الذين خالفوا أنبياءهم من قبلهم، وقوله سبحانه: ﴿أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ تأكيداً للإنكار السابق، وتوضيحاً للفاحشة التي كانوا يأتونها، أي: إنكم- أيها الممسوخون في فطرتكم وطبائعكم- لتصبون شهوتكم التي ركبها الله تعالى فيكم في الرجال دون النساء اللاتي جعلهن

الله تعالى محل شهوتكم ومتعتكم^(١). قال الألوسي: «والجملة الكريمة تثنية للإنكار، وبيان لما يأتونه من الفاحشة بطريق التصريح بعد الإيهام وتحلية الجملة بحَرْفِيّ التأكيد، للإيدان بأن مضمونها مما لا يصدق وقوعه أحد، لكمال شناعته، وإيراد المفعول بعنوان الرجولية دون الذكورية، لزيادة التقييح والتوبيخ»^(٢).

٢. التعجب من مخالفة القول بالعمل.

قال تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَكُونَنَّ أَكْثَرُ أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

كيف يليق بكم يا معشر اليهود، وأنتم تأمرون الناس بأهمات الفضائل، وألوان الخيرات، أن تنسوا أنفسكم، فلا تأتمروا بما تأمرون به غيركم، وأنتم مع ذلك تقرأون توراتكم، وتدركون أي عقوبة أليمة لمن يأمر الناس بالخير وينسى نفسه، أفلا عقل لكم يحبسكم عن هذا السفه الذي تردبتم فيه، ويحذركم من سوء عاقبته، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ لَتَكُونَنَّ أَكْثَرُ﴾ مزيد تقييح لشأنهم، ذلك أن قراءتهم لكتبهم أبطلت اعتذارهم بالجهل الذي قد يتشبث به بعض الفاسقين

(١) انظر: الدر المشور، السيوطي ٣٦٨/٦، مدارك التنزيل، النسفي ٦١٣/٢.
 (٢) روح البيان ٢١٦/١٩.

قال الزمخشري رحمه الله: «ونداؤهم بالإيمان تهكم بهم وبإيمانهم وهذا من أفصح الكلام وأبلغه في معناه، وقصد في «كبر» التعجب من غير لفظه، ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله وأسند إلى أن تقولوا، ونصب مقتاً على التمييز، للدلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه، لفرط تمكن المقت منه.

واختير لفظ المقت، لأنه أشد البغض وأبلغه، ومنه قيل: نكاح المقت - وهو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه -، وإذا ثبت كبر مقته عند الله، فقد تم كبره وشدته، وانزاحت عنه الشكوك»^(٣).

على أمر الله عندما ينكر الناس عليهم فسوقهم، وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أسمى أنواع الهداية والإرشاد السليم، فإن من أطف الأساليب في الخطاب والتوجيه، أن يكون للموجه إليه النصح صفة من شأنها أن تسوقه إلى خير، ولكنه ينساق إلى غيره من أنواع الشرور فيقع فعله من الناس موقع الدهشة والغربة والتعجب، فيذكر له مسدي النصح تلك الصفة في معرض الاستفهام بغية تذكيره بأن ما صدر منه لا يلتقي مع ما عرف عنه^(١).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

والاستفهام في هذه الآية للإنكار والتوبيخ والتعجب من الذي يقول قولاً لا يؤيده فعله؛ لأن هذا القول إما أن يكون كذباً، وإما أن يكون خُلُفاً للوعد، وكلاهما يبغضه الله تعالى، فهذا نداء من الله تعالى يا من آمتم بالله واليوم الآخر، لماذا تقولون قولاً، تخالفه أفعالكم، بأن تزعموا بأنكم لو كلفتم بكذا لفعلتموه، فلما كلفتم به قصرتم فيه، أو أن تقولوا بأنكم فعلتم كذا وكذا، مع أنكم لم تفعلوا ذلك^(٢).

(١) انظر: التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، ١١٢/١، بيان المعاني، العاني ٣٢/٥.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٧٨/١٨.

(٣) الكشف ٥٢٣/٤.

أنواع الإعجاب

الإعجاب له أنواع متعددة، كالإعجاب بالأقوال والإعجاب بالهيئات والإعجاب بالكثرة، هذا سيكون محور حديثنا في هذا المبحث.

أولاً: الإعجاب بالأقوال:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ أَنَّ اللَّهَ الْخَصَامُ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

ومن الناس فريق يروك منطقهم، ويعجبك بيانهم، ويحسن عندك مقالهم، فأنت معجب بكلامهم الحلو الظاهر، المر الباطن، وأنت في هذه الدنيا لأنك تأخذ الناس بظواهرهم، أما في الآخرة فلن **﴿يُعْجِبُكَ﴾** أمرهم لأنهم ستنكشف حقائقهم أمام الله الذي لا تخفى عليه خافية، وسيعاقبهم عقاباً أليماً؛ لإظهارهم القول الجميل وإخفائهم الفعل القبيح. وعلى هذا التفسير يكون قوله: **﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** متعلقاً بـ **﴿يُعْجِبُكَ﴾**.

وبعضهم يجعل قوله: **﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** متعلقاً بالقول، فيكون المعنى عليه ومن الناس فريق يعجبك قولهم إذا ما تكلموا في شؤون الدنيا ومتعها؛ لأنها متتهى آمالهم، ومبلغ علمهم، وأصل حبههم، ومن أحب شيئاً أجاد التعبير عنه، أما الآخرة فهم

لا يحسنون القول فيها، لأنهم لا يهتمون بها، بل هم غافلون عنها، ومن شأن الغافل عن شيء ألا يحسن القول فيه ^(١).

ويبدو أن تعلق الجار والمجرور بـ **﴿يُعْجِبُكَ﴾** أرجح، لأنه يتفق مع السياق حيث إن سياق الحديث في شأن الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، ويخدعون الناس بمعسول بيانهم مع أن نفوسهم مريضة، وليس في شأن الذين يحسنون الحديث عن شؤونها المختلفة، بل إن بعض الذين يحسنون الحديث في شؤون الدنيا لم يضيعوا أخراهم وإنما عمروها بالعمل الصالح، فهم جامعون بين حسني الدنيا والآخرة.

ثانياً: الإعجاب بالهيئات:

قال تعالى: ﴿وَلَا مَؤْمِنَةٌ حَيَّةٌ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ وَلَوْ أَنعَجَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١].

أي: ولأئني رقيقة مؤمنة مع ما بها من الرق وقلة الجاه والجمال خير في التزوج بها من امرأة حرة مشركة ولو أعجبتكم بجمالها ونسبها وغير ذلك من منافع دنيوية، لأن ما يتعلق بالمنافع الدنيوية يجب أن يقدم على المنافع الدنيوية، ولأن الزواج ارتباط روحي بين قلوبين، ومن العسير أن يتم هذا الترابط بين قلب يخلص لله في عبادته، وقلب لا

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٢٩/٤، النكت والعيون، الماوردي ١/٢٦٥.

يدين بذلك^(١).

أمره رقيقاً ضعيفاً متفرقاً، ثم ينبت بعضه حول بعض، ويغلظ ويتكامل حتى يقوى ويشتد، وتعجب جودته أصحاب الزراعة، العارفين بها، فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، كانوا في أول الأمر في قلة وضعف، ثم لم يزلوا يكثرون ويزدادون قوة، حتى بلغوا ما بلغوا في ذلك^(٤).

قال الزمخشري: «وهذا مثل ضربه الله تعالى لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوي واستحكم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده، ثم قواه الله تعالى بمن معه، كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها، حتى يعجب الزراع»^(٥).

وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ دَرَجَةٌ وَفَأَخْرَجَ بَيْنَكُمْ وَتَكَاتُرٍ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾ [الحديد: ٢٠].
وقوله تعالى: ﴿يُعْجِبُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿يُعْجِبُ الْكُفَّارَ﴾ أي: يعجب الخبراء بالزراعة لقوته وحسن هيئته، والمعنى: أن صفة المؤمنين في الإنجيل، أنهم كالزرع، يظهر في أول

(١) انظر: تيسير التفسير، القطان ١/ ١٢٥.

(٢) التفسير الوسيط، الططاوي ١/ ٤٨٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، رقم ٥٠٩٠، ٧/٧، ومسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين، رقم ١٤٦٦، ١٠٨٦/٢.

(٤) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، ٨/ ٥١٠.

(٥) الكشاف، الزمخشري ٤/ ٣٤٧.

يبسه، تعصف به الرياح^(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤].

يرسم سبحانه للمنافقين صورة تجعل كل عاقل يستهزئ بهم، ويحتقرهم، ويسمو بنفسه عن الاقتراب منهم، والمعنى: وإذا رأيت- أيها الرسول الكريم- هؤلاء المنافقين، أعجبتك أجسامهم، لكمالها وحسن تناسقها، وإن يقولوا قولاً حسبت أنه صدق؛ لفصاحته، وأحببت الاستماع إليه لحلاوته، فهم أجسام تعجب، وأقوال تغري بالسماع إليها، ولكنهم قد خلت قلوبهم من كل خير، وامتلات نفوسهم بكل الصفات الذميمة^(٢).

قال القرطبي: «قال ابن عباس: كان عبدالله بن أبي، وسيماً جسيماً صحيحاً صبيحاً، ذلق اللسان، فإذا قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم مقالته»^(٣).

ثالثاً: الإعجاب بالكثرة:

قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠].

قل- يا محمد- للناس: إنه لا يستوي

عند الله عز وجل ولا عند العقلاء القبيح والحسن من كل شيء، لأن الشيء القبيح- في ذاته أو في سببه أو في غير ذلك من أشكاله- بغض إلى الله وإلى كل عاقل، وسيكون مصيره إلى الهلاك والبوار، أما الشيء الطيب الحسن فهو محبوب من الله ومن كل عاقل، ومحمود العاقبة دنيا ودينا.

وقوله: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ زيادة في التنفير من الشيء الخبيث، وحض على التمسك بما هو طيب، أي: لا يستوي في ميزان الله ولا في ميزان العقلاء الخبيث والطيب، حتى ولو كان الفريق الخبيث كثير المظهر، براق الشكل، تعجب الناظرين هيئته فلا تغتر به أيها العاقل، ولا تؤثر في نفسك كثرته وسطوته؛ فإنه مهما كثر وظهر وفشا، فإنه سيئ العاقبة، سريع الزوال، لذته تعقبها الحسرة، وشهوته تلوها الندامة، وسطوته تصحبها الخسارة والكرهية، وطريقه المليئة بالدنس والفقر يجب أن يوصد أبوابها الأخيار الشرفاء، أما الفريق الطيب أو الشيء الطيب فهو محمود العاقبة، لذته الحلال يباركها الله، وثماره الحسنة تؤيدها شريعته وتستريح لها العقول السليمة، والقلوب النقية من كل دنس وباطل وطريقه المستقيم- مهما قل- سالكوه- هو الطريق الذي يوصل إلى كل خير وفلاح^(٤).

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ٧٣٢٦/١١.

(٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي، ٩٨/٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٢٥/١٨.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذَبِّذِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

أي: ويوم غزوة حنين، وهو اليوم الذي رافقتكم فيه كثرتكم فاعتمدتم عليها حتى قال بعضكم: لن نغلب اليوم من قلة، ولكن هذه الكثرة التي أعجبتكم بها لم تنفعكم شيئاً من النفع في أمر العدو، بل انهزمت أمامه في أول الأمر، وضافت في وجوهكم الأرض مع رحابتها وسعتها بسبب شدة خوفكم، ثم وليتم الكفار ظهوركم منهزمين لا تلوون على شيء^(١).

[انظر: الغرور: التفاخر والتكاثر بالأموال والأولاد]

موضوعات ذات صلة:

الاستكبار، الدعوة، الغرور

٣/٢٠٣، التفسير المنير، الزحيلي ٧/٧٤.

(١) انظر: التفسير الواضح، محمد حجازي، ١/٨٧٠.

